قراءة تربوية في آليات بناء المعرفة الشرعية

مراجعة مقال Subject Rview

د. زينب هادي جابر مهدي
Zainab.hadi@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

الملخص

يستعرض هذا المقال (قراءة تربوية في آليات بناء المعرفة الشرعية) دور أحاديث أهل البيت التي تُشكّل العمود الفقري لبناء المعرفة الشرعية في المدرسة الإمامية، اذ توفر تفسيرا دقيقًا للقرآن الكريم، وتوضح الأحكام العملية والضوابط الأخلاقية والروحية التي تنظم حياة الفرد والمجتمع. و تسهم هذه النصوص في صياغة منهج الاجتهاد، وتضع آليات لبناء تربوية واضحة المعالم، فضلا عن وضع أسس واضحة للاستنباط الفقهي، عن طريق الجمع بين النقل الموثوق والتحليل العقلاني للأحكام، اذ كان لأحاديث أهل البيت عليهم السلام أثر مزدوج: فهي تؤسس للفهم العلمي والمنهجي للشريعة، وفي الوقت نفسه ترسخ القيم الأخلاقية والاجتماعية، مما يجعلها عنصرا أساسيا في تكوين معرفة شرعية متكاملة، قادرة على توجيه الفرد والمجتمع في ضوء المبادئ الإسلامية الأصيلة.

الكلمات المفتاحية : التربوية، الشرعية، المعرفة، آليات.

مراجعة مقال – Subject Rview

Mechanisms for building Sharia knowledge – an educational reading.

lect. dr. Zainab Hadi Jaber
Al-Mustansiriya University/ College of Education

Abstract:

This article (An educational reading of the mechanisms for building Islamic knowledge) reviews the role of the hadiths of the Ahl al-Bayt, which form the backbone of building Sharia knowledge in the Imamite school It provides a precise interpretation of the Holy Quran, clarifying the practical rulings and ethical and spiritual guidelines that govern the

lives of individuals and society. These texts contribute to shaping the methodology of ijtihad (independent reasoning) and establish clear educational mechanisms In addition to laying clear foundations for jurisprudential deduction, by combining reliable transmission with rational analysis of rulings, the hadiths of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) had a dual effect:

It establishes a scientific and systematic understanding of Sharia, and at the same time reinforces moral and social values, making it an essential element in the formation of an integrated Sharia knowledge, capable of guiding the individual and society in light of authentic Islamic principle

Keywords: education, legitimacy, knowledge, mechanisms.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: إن المتطلع إلى روايات المعصومين عليهم السلام يدرك أنها تشكل ركناً أساسياً في بناء المعرفة الشرعية ضمن المدرسة الإمامية؛ إذ تمثل أحد المصادر التفسيرية والبيانية للقرآن الكريم، وتعد المرجع المعتمد في استنباط الأحكام الشرعية وفهم الدلالات العقائدية والأخلاقية للشريعة. وقد أكّد كبار علماء الإمامية، عبر العصور، إن الفهم التشريعي الإسلامي لا يمكن إدراكه الا بالرجوع الى تراث أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم الموثوقة التي حافظت على النصوص القرآنية وبيان دلالاتها، ومن هنا تطورت علوم مساندة: كعلم الرواية وعلم الرجال وأصول الفقه ومناهج نقد الحديث وغيرها لتعزيز دور الرواية في بناء المعرفة الشرعية ضمن اطار منهجي علمي متكامل.

أولا: دور أحاديث المعصومين عليهم السلام في البيان القرآني

يرى علماء الإمامية أن القرآن الكريم يحتاج إلى تفسير معصوم يرفع احتمالات التأويل المتشابه. ويستند هذا المبدأ إلى نصوص عديدة، أبرزها قول الإمام علي عليه السلام: «ذلك القرآن، فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أُخبركم عنه: فيه علم ما مضى، وما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون» ومفاد هذه الرواية أن القرآن لا يتحدث بل يحتاج الى تفسير وبيان من المعصوم عن طريق التدبر فيه وفهم معانيه.

وعلى هذا الاساس اعتمد المفسرون كالشيخ الطوسي في التبيان والطبرسي في مجمع البيان على روايات الأئمة عليهم السلام لتحديد المدلول الفقهي والعقائدي لآيات الأحكام.

ثانيا: الأثر التشريعي لأحاديث المعصومين عليهم السلام في الفقه:

تسهم روايات المعصومين عليهم السلام بشكل رئيس في توضيح الأحكام الشرعية العملية، بما يشمل العبادات مثل الصلاة والزكاة والصوم وغيرها، فضلا عن المعاملات والأحكام الجنائية، فهي لا تقتصر على نقل النصوص، بل توفر إطارا منهجيا يمكّن الفرد من تطبيق الأحكام بشكل صحيح في واقع الحياة اليومية، مع وضع معايير دقيقة للفصل بين الصواب والخطأ. اذ اعتمد فقهاء الامامية على روايات المعصومين عليهم السلام اعتماداً كبيراً في استخراج الأحكام الشرعية واستنباط فروعها، اذ أوضحت الروايات الكثير من تفاصيل العبادات والمعاملات التي لم يرد بيانها التفصيلي في القرآن، كما تعمل هذه الروايات كأداة منهجية تربط بين النصوص القرآنية والتطبيق العملي، فتوفر دليلاً للتعامل مع المسائل الجديدة أو المستجدة دون الخروج عن روح الشريعة. وعن طريق هذا الربط بين النص والتطبيق، تصبح الرواية وسيلة لضمان اتساق المعرفة الشرعية، وتعزيز قدرة الإنسان على الموازنة بين التعاليم الدينية ومتطلبات الحياة اليومية.

ثالثا: أحاديث المعصومين عليهم السلام مرجعاً للقيم الأخلاقية

لم يبن الوعي الشرعي في المدرسة الإمامية على الفقه وحده، ففضلاً عن الجانب العملي للأحكام توفر أحاديث المعصومين عليهم السلام للإنسان إطارا متكاملاً للقيم الأخلاقية والروحية، يربطه بالبعد الإلهي والمجتمعي على حد سواء. فهي توضح المعايير السلوكية الفاضلة، وتبرز مفاهيم العدالة، والرحمة، والتقوى، والصبر، مما يجعلها أداة فعالة في تنشئة شخصية متوازنة قادرة على إدراك الذات وفهم الآخرين، ومواجهة تحديات الحياة بنضج ووعي وروحانية متزنة ونقد السلوك الاجتماعي، وإدارة الشأن السياسي، وقد مثّلت خطب الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة ووصايا الأئمة للجيل الرسالي مرجعاً في تكوين الرؤية الأخلاقية والإنسانية.

وبناء على ذلك تعد أحاديث المعصومين عليهم السلام أداة تربوية فعالة: فهي لا تعمل فقط على غرس سلوكا متوازنا، بل ترسخ أيضاً شعوراً بالمسؤولية الوجودية تجاه الله والناس، وتدعم قدرة المؤمن على فهم نفسه والآخر، على النحو الذي يمكّنه من مواجهة تحديات الحياة بعزيمة وهدوء وسكينة، فهي تجسد الجانب العملي من الأخلاق القرآنية.

رابعاً: أثر الحديث في منهج الاجتهاد الإمامي وتطور علومه

لم يقتصر تأثير أحاديث أهل البيت عليهم السلام على الفقه فحسب بل امتد الى علم الأصول فقد كان تعامل العلماء مع اختلاف الروايات وتعارضها ودلالاتها سبباً في تأسيس قواعد أصولية مثل حجية الخبر ودلالة الأمر والنهي وغيرها، كما أسهم علماء الرجال والدراية في تنظيم مقاييس قبول الرواية وردها، عبر وضع ضوابط للسند والمتن، مثل:

•وثاقة الرواة وتقييم أحوالهم، •قواعد نقد المتن، •منهج الجمع والترجيح بين الروايات.

وفي الدراسات المعاصرة وتنامي النشاط العلمي، تطور التعامل مع الروايات من النقل المباشر إلى القراءة النقدية المنهجية، فبرزت علوم متخصصة تسعى إلى تمحيص النصوص وتمييز صحيحها من ضعيفها، ما أتاح تأسيس قواعد دقيقة لضبط الحجية ورفع الإشكالات والتعارضات.

وقد أسهم أعلام الإمامية، بدءا من الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشريف المرتضى، وصولًا إلى المدرسة الأصولية الحديثة عند الشيخ الأنصاري، في إعادة صياغة منهجية الاستفادة من الروايات بطريقة تجمع بين العمق العلمي والصرامة المنهجية.

وكان من ثمار هذا التطور اجتهاد إمامي أكثر نضجا، يبقي الروايات في مركز العملية الاستنباطية، لكنه يستخدم الأدوات الأصولية لفهم دلالاتها وتحليل مضامينها، وبذلك توسعت آفاق الاجتهاد لتشمل المبادئ الدلالية كالظهور والإطلاق والمفهوم وحجية الخبر، مما مكّن الفقيه من التعامل مع النصوص تعاملاً تحليليا لا حرفيا، هذا التزاوج بين الرواية والقواعد الأصولية منح المدرسة الإمامية قدرة على مواكبة المسائل المستحدثة دون الابتعاد عن الأساس الروائي الذي يشكّل جوهر مرجعيتها التشريعي.

خامسا: أهمية أحاديث أهل البيت عليهم السلام في الحياة الاجتماعية:

تقدم أحاديث أهل البيت عليهم السلام رؤية اجتماعية متكاملة تستند إلى قيم إنسانية وأخلاقية راسخة، وتعد امتدادا للمنهج القرآني في تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع. وقد شكّلت هذه الروايات عبر التاريخ إطارا عمليا لبناء مجتمع متماسك يقوم على العدالة والتراحم وصيانة الكرامة الإنسانية، وتظهر مصادر موثوقة مثل الكافي للكليني، ونهج البلاغة، وتحف العقول، ووسائل الشيعة مدى العمق الاجتماعي الذي احتوته تعاليمهم.

ففي نهج البلاغة مثلاً تبرز خطب الإمام علي عليه السلام التي تؤكد على أن المجتمع لا يستقيم إلا بالتعاون، والعدل، وكف الظلم، ورعاية الضعفاء، مما يعكس رؤية واضحة لدور الفرد في محيطه، كما نجد في الكافي روايات عديدة تعطي بعدا أخلاقيا للعلاقات الاجتماعية، إذ تركز على الصدق، والأمانة، وصلة الرحم، والإحسان، وهي قيم تعد أساسا لانسجام المجتمع واستقراره.

وفي تحف العقول، تظهر مجموعة من الوصايا الأخلاقية التي وجهها الأئمة لأتباعهم، والتي تهدف إلى تهذيب السلوك الاجتماعي وتكريس السلم الاجتماعي، عن طريق الدعوة إلى احترام الآخرين، وضبط اللسان، والتعامل بإنصاف وعدل، كما يورد وسائل الشيعة أبوابا مخصصة للأحكام والسنن التي تنظّم العلاقات بين الناس، مثل حقوق الجار، وإغاثة المحتاج، وفضل الإصلاح بين المتخاصمين، وكلها تمثّل أُسسا عملية لبناء بيئة اجتماعية صحية.

وبناء على ذلك يتضح أن أحاديث أهل البيت عليهم السلام تشكل منظومة تربوية تسهم في بناء مجتمع واعي يعالج خلافاته بالحكمة وبهذا يصبح للروايات دوراً تأسيسياً يسهم في خلق مجتمع متوازن قادر على مواجهة تحدياته بأدوات أخلاقية وأفكار نابعة من منظومة أهل البيت عليهم السلام.

الخاتمة: يبقى الحديث المعصوم محورا أساسيا في بناء المعرفة الإسلامية، وعمادا لفهم الشريعة، ومنبعا للهدي والإصلاح، وإن العناية بالسنة ودراستها وتمييز صحيحها من سقيمها واجب على العلماء وطلاب العلم؛ لأنها السبيل لفهم الدين كما أراده الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، وفي ضوء ذلك، تصبح أحاديث أهل البيت عليهم السلام أداة أساسية للحفاظ على وحدة المنهج الشرعي، وتعميق الفهم الديني، وضمان تطبيق متوازن للشريعة في جميع نواحي الحياة، وصياغة سلوك مؤمن قادر على مواجهة التحديات بروح معرفية واخلاقية متكاملة.

المصادر:

١- جعفر السبحاني، أصول الفقه المقارن فيما لا نص فيه، د.ط، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، د.ت.

٢- السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، معجم رجال الحديث، د.ط، مؤسسة الامام الخوئي، د.ت.

٣- الشهيد السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٣٤-٢٠١٣م.

٤- الشهيد السيد محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول الحلقة الثالثة، د.ط، مجمع الفكر الإسلامي-قم، د.ت.

٥- الشيخ الكليني،الكافي، تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط٤،، دار الكتب الإسلامية – طهران، 1365 ش.

٦- الشيخ محمد جواد مغنية، فلسفة الاخلاق في الإسلام، د.ط، دار العلم للملايين- بيروت، ١٣٩٧- ١٩٧٧م.

٧- محمد باقر البهبودي، معرفة الحديث وتاريخ نشره وتدوينه عند الشيعة الامامية، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

٨- محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، د.ط، دار الكتاب العربي، ١٤٢٩- ٢٠٠٨م.

٩- هاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدثين، ط٢، دار التعارف للمطبوعات- بيروت-لبنان، ١٣٩٨-١٩٧٨م.